منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية

البلاغة العربية
وآفـــاق تحليـــل الخطاب

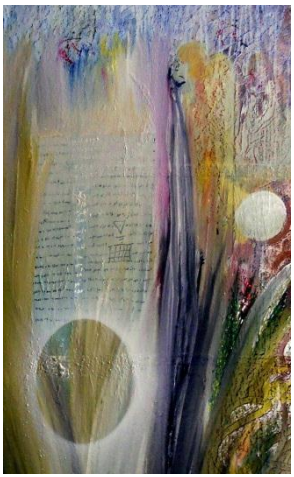

تنسيق

المهدي لعرج حنان المراكشي

محمد الفتحي مصطفى شميعة

فاس ٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

تقديم: 3
- البلاغة العربية وامتداداتها..... 7
البلاغة والمجتمع ، قراءة في بعض إسهامات د عماد عبد اللطيف.
د. عادل عاللطيف..... 8
كتاب تحليل الخطاب البلاغي : دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف.
د. علي المصلاوي وأ د: كريمة نوماس محمد النمري..... 15
من الوظائف البلاغية إلى البلاغة الوظيفية ،
د. محمد غازيوي..... 33
أطر النقد البلاغي العربي المعاصر في مشروع عماد عبد اللطيف.
ذ. محمد يطاوي..... 46
قراءة تحليلية وصفية لكتاب " البلاغة والتواصل عبير الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف
د. مسعود غريب..... 62
أهمية التواصل بين الثقافات والحضارات ودور البلاغة ، دراسة ذرائعية مستقطعة في كتاب "البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف،
د. عبير خالد يحيى..... 83
تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي
ذ محمد الوظيفي..... 102
رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف للتواصل بين الثقافات من خلال كتابه " البلاغة والتواصل عبر الثقافات"
د خالد التوزاني..... 117
- مفهوم بلاغة الجمهوروتطبيقاته..... 137
البلاغة والخطابة السياسية المعاصرة، قراءة في كتاب "الخطابة العربية السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف.
ذ عبدالوهاب صديقي 138
ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف
د. نزهة خلفاوي..... 146
بين بلاغة الجمهورونظرية التلقي ، تكامل أم تمايز؟
ذ. حسين البعطاوي..... 157

فاعلية استجابة جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير الخطاب، قراءة في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف
د. ماجد صلاح 186
بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.
د. عبد الكبير الحسني..... 203
فلسفة الحوار، تأسيس لبلاغة الجمهور في كتاب "البلاغة والتواصل" لعماد عبد اللطيف .
د. نعيمة سعدية..... 212
نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف وعلاقتها بالسيميائيات
د. ماجد قائد قاسم..... 242
بلاغة الجمهور بين الرؤية و المنجز و الطموح
ذ عادل المجدلاوي..... 267
- تحليل الخطاب السياسي..... 308
مقاربة الخطاب السياسي، قراءة في أعمال د عماد عبد اللطيف
ذ. فضيل ناصري..... 309
وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور د عماد عبد اللطيف.
د بلخير شنين..... 322
تحليل الخطاب السياسي، قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف
د فؤاد أعلوان 337
- إشكالية تدريس البلاغة العربية..... 350
الرؤية الحداثية في تدريس البلاغة العربية – عماد عبد اللطيف نموذجا .
د نصيرة شيادي..... 351
تدريسية البلاغة العربية، قراءة وتعقيب على مقال " تدريس البلاغة العربية التاريخ، الحاضر، المستقبل
ذ.أيوب الظهراوي..... 362
تدريسية البلاغة العربية : المفاهيم وأساليب الأجرأة. قراءة في مشروع د عماد عبد اللطيف.
د. نور الدين ناس الفقيه..... 376
بعض صور أجرأة بلاغة السكاكي في الدرس التعليمي – آلية التعريف أنموذجا- استضاءة بتجربة الدكتور عماد عبد الطيف.
د دنيا لشهب..... 389
- فهرس الموضوعات: 402

تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي

ذ أحمد الوظيفي

مقدمة

راهنت البلاغة السياسية منذ تأسيسها لدى اليونان، ولاسيما تصورات أرسطو، على خلق مناخ للحوار قائم على الأخذ والعطاء، فضاء يجد فيه الكل فرصة للعرض والاعتراض، بهدف بناء فعل سياسي متوافق حوله، يقوم على قيم الفضيلة والمساواة والعدل، ويتأسس على المصلحة العامة، تنتفي فيه كل أساليب الهيمنة والتطويع واللامساواة، في أفق ضمان سياسة رشيدة للمدينة. لكن فلاسفة اليونان لم يكونوا كلهم متصالحين مع البلاغة، حيث رفضها أفلاطون من خلال محاورة جورجياس؛ إذ سعى إلى نقضها خوفا من الاستعمال السيء لها إذا وقعت بين من يسيئون توظيفها من السياسيين، لأنهم يمكن أن يحولوها إلى أداة للتلاعب بالجماهير وتطويعهم، وخصوصا إذا استحضرنا السياقات التي جاءت في ظلها هذه المحاورة، وما كانت تشهده أثينا من استثمار مغرض للخطابة تعليما وتوظيفا من طرف السفسطائيين.

لكن تكتسي البلاغة أهمية كبرى بالنظر إلى ما تحققه من تواصل بين الناس، ولاسيما الجماهير، قصد بناء وعي مشترك متوافق حوله، بحيث يسهم في بنائه الكل، وهو ما يدفع إلى ضرورة أن لا تبقى البلاغة في يد قلة يتحكمون فيها ويستثمرونها آلية للتحكم في الجماهير وتطويعها لتحقيق مصالحهم الخاصة. وقد كان من نتائج ذلك بروز تصورات بلاغية تقاوم بلاغة الأقوى سياسيا،وتقوض أسسها وتنبه الجماهير إلى ما تنطلي عليها من مغالطات، ومن ذلك بلاغة الجمهور التي بنى أسسها الباحث الدكتور **عماد عبد اللطيف**، وهو تصور بلاغي يدرس استجابات الجماهير البليغة في أفق توعيتها بأدوارها، مما أسهم إلى حد كبير في تحرير البلاغة من جهة ومن جهة أخرى في بناء وعي سياسي لدى الجماهير.

فما هي أشكال حرية البلاغة وتمظهراتها؟

1-تاريخ البلاغة تاريخ رسمي

تركز اهتمام البلاغة منذ القدم على الخطاب الرسمي، وهمشت عن قصد أو عن غيره خطابات أخرى اعتبرتها هامشية أو على حافة مقولة البلاغة، فلم تحفل بها حفظا في الذاكرة أودراسة؛ وإلا فما الذي يفسر عدم اهتمام التلقي العربي القديم بشعر الصعاليك وعدم اعتماده ضمن المعلقات، رغم أنه قد بلغ مرتبة عالية من الإبداعية بشهادة النقاد العرب قدامى ومحدثين. كما يسجل تاريخ البلاغة العربية تبئيرا للخطاب المقدس وللشعر في بناء نسقها والتأسيس لقواعدها،بينما أهملت خطابات أخرى لها من الحجية اللغوية ما يجعلها تضاهي الخطابات المحتفى بها

دراسة ونقدا واستشهادا. وقد كان اختيار البلاغات العالمية هو الآخر انتقائيا تحكمت فيه مقولة المركز والهامش، حيث توجه الاهتمام إلى البلاغة اليونانية إنتاجا وقراءة وتنظيرا، وكأنها التمظهر البلاغي الوحيد، وتم إهمال بلاغات أخرى اعتبرت هامشية في حافة المقولة، كالبلاغة الصينية والبلاغة الهندية والبلاغة المصرية القديمة والبلاغة الأمازيغية...

ويصدق الأمر نفسه على البلاغة الحديثة في الغرب إذ تحكمت فيها أيضا الثنائية: مركز/هامش أيضا، حيث عد الغرب نفسه مركزا واستحضر من التصورات البلاغية ما يتساوق مع هذا التصور، فاعتبر البلاغات الأخرى هامشا بما في ذلك البلاغة العربية، وهو ما يفسر عدم استحضارها في بناء النسق البلاغي الغربي المعاصر، وهذا انتقاد وجهه د. محمد العمري إلى هذه البلاغة الغربية وعاب عليها عدم استنادها في بناء مشروعها إلى البلاغة العربية ذات التصورات البلاغية الوجيهة[1]. فضلا عن الاهتمام بأرسطو وتفكيره البلاغي وإهمال أفكار أفلاطون وتصوراته البلاغية.

وفي الدراسات العربية الحديثة على مستوى البحوث البلاغية التحليلية تركز الاهتمام على الخطابات الرسمية الحديثة والتراثية، وتم إهمال البحث في خطابات الهامش، بل تم تجريدها من النصية، فاعتبرت لا نصا، ونظر إليها نظرة قدحية فكان حظها من الدراسات الأكاديمية قليلا، وإن كنّا نشهد في الآونة الأخيرة عودة كبيرة إلى هذه الخطابات، التي أضحت تفرض نفسها بفضل اجتهادات باحثين شباب، ومن التمظهرات الواضحة لذلك، مشروع بلاغة الجماهير. بل إنه يمكن وسم بلاغة القرن الواحد والعشرين ببلاغة المهمش بامتياز[2].

يتحصل من هذا المسار التأملي لتاريخ البلاغة أنها اهتمت بالخطاب الرسمي الذي ارتضته السلطة القائمة، فتم حفظه وتخليده والاحتفاء به، سواء تعلق الأمر بالبلاغة بوصفها علما واصفا أو البلاغة بوصفها إنتاجا خطابيا، وتم إهمال خطابات وبلاغات أخرى اعتبرت هامشية،فتم إدراجها خارج مقولة البلاغة أو في هامشها في أحسن الأحول، وربما فقدت البلاغة الكثير من إمكانياتها التحليلية والوصفية بسبب هذا التحيز وهذه النظرة"النخبوية". ألم يؤدي ظهور كتاب"الاستعارات التي نحيا بها" لكل من ليكوف Lakoff وجونسون Johnson في الغرب إلى شعور الباحثين بالاندهاش، إذ تمت البرهنة على أنه لا فرق بين الخطاب "النخبوي" والخطاب "المتداول"، إن كان هنالك فعلا مبرر علمي وجيه لاعتماد هذا التمييز. ذلك أن هذه الاستعارات التي كنّا نعدها حكرا على الإبداع توجد بشكل مطرد في كلامنا العادي؛ إننا نحيا بها، إن ذلك الكلام

1- ينظر مثلا: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، ط2، 2012

2-يمكن في السنوات العشر الأخيرة رصد جملة من البحوث التي أخذت خطابات الهامش متنا لها: خطابات جماهير كرة القدم، خطاب الكدية ...

الذي كنّا نعده هامشيا ولا قيمة له لا يقل بلاغة عن الشعر والأدب بعامة، إنه لاكتشاف عظيم!

2- حرية البلاغة:

هل يمكن الحديث عن بلاغة حرة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما حدود الحرية التي تتمتع بها البلاغة؟

إذا كانت الحرية حسب **عماد عبد اللطيف** في كتاب "بلاغة الحرية" قد أفرزت بلاغتها الخاصة من خلال إنتاج خطابات جديدة واعتماد قنوات بديلة مستفيدة من الإمكانات التكنولوجية والتواصلية التي سمح بها عصرنا الحديث، ومن فرص البروز التي أتاحتها الثورات العربية، فإن هذه البلاغة قد أضحت تتمتع بحرية أكبر مقارنة بمرحلة ما قبل الثورة[3]؛ حيث كان الخطاب الثوري يعيش التهميش والحصار، فلا يسمع صوته، في تكريس صار خلصوت السلطة الذي يعلو ولا يعلى عليه، والذي بنى نمطا تواصليا سياسيا أحادي الجانب، وهل يمكن الحديث عن تواصل في ظل عدم التكافؤ؟ فخطاب الأضعف لا يمارس عليه حظر الرواج والتداول فقط، بل إنه كان لا يتخذ متنا للدراسات البلاغية الوصفية والتحليلية، إما للنظرة الدونية التي تكرست لدى الباحثين عنه في اللاوعي الجمعي بوصفه خطابا ثوريا نشازا يغرد خارج السرب، أو للحصار المفروض عليه من طرف البلاغة البائدة[4]،مما ترتب عنه إعراض الدارسين عن اتخاذه موضوعا للبحث، إما لرفض مجموعات البحث الخوض فيه، أو لتفاديأي مشكل قد يعوق سير الدراسات، لأنه في الأنظمة الاستبدادية لا يتم التمييز بين العلم والبحث الأكاديمي والإيديولوجيا في معناها السلبي.

للبلاغة معنيان كما يقول الدكتور محمد العمري، البلاغة بوصفها إنتاجا وإنشاء، حيث نقول بلاغة المتكلم أو متكلما بليغا وبلاغة الكلام أو كلاما بليغا، كما تعني العلم الذي يهتم بوصف هذا الكلام؛ حيث يتم مقاربتها بوصفها جملة من الآليات التي تهتم بتحليل الكلام ووصفه. لكن البلاغة وإن كانت مفهوما تاريخيا، تتحول تعريفاته ومعانيه وتتغير حسب التطور التاريخي، سواء على مستوى الإنتاج أو الإنجاز أو الوصف والتحليل، فإنها ظلت تحتفي بخطاب السلطة الرسمي، وتستهجن المهمش سواء أكان كلاما أم متكلما، ولما كان هذا الرسمي مرتبطا بالمؤسسات التي تمنحه رسميته، وتعطيه الشرعية اللازمة للتداول والرواج، كان خطابا مقاميا بامتياز، بل إنه هو من يخلق هذه المقامات ويفرضها؛ أي أنه لا يمنح الحظوة إلا لأشخاص بعينهم، ولا ينتج من الخطابات إلا ما كان منسجما مع المؤسسات التي يمثلها. ويكرس فان دايك الربط الوثيق بين الخطاب السياسي

3- تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن الحرية كانت لها دائما بلاغتها الخاصة، لكنها كانت بلاغة مقيدة، حيث الثورات العربية قد شكلت حاجزا بين قيد هذه البلاغة وحريتها.

4- أطلق هذه التسمية عماد عبد اللطيف على البلاغة التي أنتجتها السلطة القائمة إبان الثورات العربية. ينظر: عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية،معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، بيروت- القاهرة، 2013.

والمقام، حين أكد أنه لا يمكن تعريفه"**على أساس الموضوع أو الأسلوب في المقام الأول، بل تبعا للمتحدث والمتلقي، ولمن يتحدث، وعن أي شيء يتحدث؛ وبمعنى آخر: يعد الخطاب السياسي سياسيا، لأن وظائفه تصب في العملية السياسية**"[5].

لكن من يصنع المقامات ويبني السياقات ويفرضها؟ وبالتالي يفرض الخطاب الذي يخدم أجندته ويحافظ على وجوده المعنوي والمادي؟

إنه بدون شك الأقوى سياسيا، أي ذلك المتحكم في المؤسسات، لكونه يملك أدوات النفاذ إلى الخطاب وآلياته وسائل ترويجه وتداوله، وهو ما يجعله "**يحتل الحيّز الأكبر على خشبة التواصل السياسي بتلفزيونه الحكومي، والقنوات الخاصة التابعة له وإذاعاته وصحفه القومية، وجيش كبير من الخبراء والمتابعين**"[6].

وإذا كانت بلاغة الرسمي تضع للكلام الأضعف سياسيا حدودا وتسيج خطابه وتضيق حريته الوجودية كإنسان فضلا حريته الخطابية، فإنها تصنع إلى حد كبير قيودها الخطابية من خلال كبح إمكانات الحوار والتداول والعيش المشترك والأخذ والعطاء، بواسطة ممارسةالبطش اللغوي، حيث "**تتشبع اللغة بالاستبداد، ولا تعرف غير الأوامر والنواهي، تنتظر الوعيد وتنجز العدوان، ولا تتيح فضاء للحوار، أو أفقا للتنوع والتعدد**"[7]. فضلا عن كبح إمكانياتها البلاغية من خلال أفعال كلامية محددة، وإمكانات تصويرية بعينها. إننا حين نصنع المقامات في هذا السياق، فإننا نخرج من دائرة الحوار وننزلق إلى دائرة العنف الرمزي، من خلال فرض مواضيع الحوار والنقاش، وما يجب تداوله وما لا يمكن الحديث عنه، ومتى وبأية طريقة، باستثمار ترسانة مفهومية تنتمي إلى حقل الأخلاق (عيب، لا خلقي..) أو القانون (قانوني – شرعي...)أو الدين (حرام – فتنة – مروق...).

2-2-نقض الخطاب الرسمي أو كسر مقولة الخطاب السياسي

إن حديثنا عن مفهوم الخطاب السياسي بمفهومه الرسمي يقودنا إلى طرح السؤال الآتي: من يعطي للمفاهيم معانيها ويزودها بحمولتها الدلالية؟ من يملك الحق في التسمية؟ من يصنع المقولات ويشرعن ترويجها؟

إنه بدون شك الأقوى سياسيا، ولذلك فإن المفهوم الرائج للخطاب السياسي، على الأقل في التلقي العام، قد تم قده قدا في دوائر القرار السياسي بشكل صريح أو مضمر من لدن الأقوى سياسيا، لأن "المنتصر هو وحده الذي يملك فرض التسمية"[8]، والترويج لها واعتمادها في التداول العام، بهدف الحفاظ على الوضع الراهن، فضلا عن عرضه لذاته بشكل إيجابي في مقابل التقديم السلبي للآخر.

---

[5]-فان دايك، الخطاب والسلطة، تَر غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص 366

[6]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية،معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، بيروت- القاهرة، 2013 ، ص 11

[7]- م ن، ص 24

[8]- بلاغة الحرية، ص 44

حين نتحدث عن الخطاب بوصفه ممارسة في التداول السياسي العربي، فإننا نحيل إلى مقولة تشكلت عبر الزمن في الوعي الجمعي للناس في السياق العربي، فبغض النظر عن التعريفات العديدة التي شكلتله في المجالات المعرفية التي يوظف فيها، فإن التصور الذي لنا عن هذاالخطاب قد تبلور انطلاقا من صورته الرسمية[9]، ومن استقراء تمظهراته الفعلية، بحيث يمكن تجميع خصائصه في الآتي:

- ❖ خطاب ينتجه الساسة في مناسبات وأعياد وطنية ودولية.
- ❖ له مواصفات شكلية وإنجازية بدأ بالنوع (خطبة شفوية) وصولا إلى طريقة إخراج الخطاب في القنوات التي تضطلع بمهمة الترويج له؛
- ❖ يعتمد في تصريفه والترويج له القنوات الرسمية التقليدية؛
- ❖ يعتمد في إخراجه طقوسا وبروتوكولات محددة، تكاد تكون موحدة بين البلدان العربية؛
- ❖ الخطيب له إيتوس نموذجي تشكل من خلال اللباس ونبرة الصوت وطريقة الجلوس والوقوف والنظرة....

إلا أنه مع تحرر البلاغة في سياق ما يسمى بالربيع العربيتكسرت مقولة الخطاب السياسي بالتصورالتقليدي،وطفت إلى السطح عناصر جديدة بخصائص مغايرة، إن لم نقل مناقضة، قطعت في كثير من تجلياتها مع التصور التقليدي؛ سواء على مستوى المتكلّمين أو بناء الخطاب أو قنوات تمريره ... مستفيدة من انفتاح المقامات التي أتاحت مساحة واسعة لممارسة الخطاب عرضا واعتراضا. ولذلك تم الاعتقاد في البداية أن إنتاج الخطاب من لدن الجماهير لا يعدو كونه لهوا لن يؤثر في موازين القوى[10]، لكنه سرعان ما فرض نفسه خطابا منافسا للخطاب الرسمي، بل ومقوضا لأسسه وادعاءاته.

وهكذا، ففي هذا السياق أعيد النظر في مفهوم الخطاب السياسي، نظرا لتغير موازين القوى بين أطراف التواصل السياسي، وأضحى الهامش منافسا للمركز، بل إن هذا الهامش قد زحزح المركز من عرشه، واستوى عليه حين فرض تصوراته وأنفذ قراراته، وفرض الاعتراف به كخطاب فاعل في الخارطة السياسية العربية. وهكذا توسعت مقولة الخطاب السياسي لتتضمن خصائص

9-ارتبط الخطابالسياسي في السياق المغربي بخطاب الملك في المناسبات والأعياد الوطنية، وتم تلقيه في التداول العامي بهذا التصور. بحيث كلما ذكر لفظ الخطاب أحال مباشرة إلى ذلك، وتشكلت في المخيال الجمعي للناس صورة ثابتة عنه.

10- يمكن أن نستحضر في هذا المقام التقرير الذي رفعه وزير الداخلية حبيب العادلي إلى الرئيس مبارك والذي يقلل من قيمة المظاهرات وقدرتها على التغيير وأن المتظاهرين "ثلوية عيال يمكن احتواؤهم والموقف تحت السيطرة ولن توجد ثمة مشكلة"، ينظر: www. Oujdacity.net

فضلا عن اتهام القذافي المتظاهرين بالخرف وباستهلاك المخدرات وأنهم ليسوا في كامل قواهم العقلية. (لي يعملوا العمل ذا عطينهم حبوب مَش بإرادتهم)

خطابية جديدة، تتمايز عن الخطاب الرسمي وتختلف عنه سيميائيا، من خلال تكثيف العلامة وتنويع الآليات الموظفة، فضلا عن بساطة منتجها...

2-3-البلاغة من الإكراه إلى الحرية

تشكل حلقة ما سمي بالربيع العربي حدا فاصلا بين بلاغة حرة وبلاغة مقيدة، وهكذا فالبلاغة الحرة بالتصور الذي نتبناه هنا، تعني تحلل الخطاب، ولاسيما خطاب الأضعف سياسيا، من القيود الخطابية والرقابية والمنع والتهميش المفروضة عليه، بحيث تتجاوز هذه الحرية إنتاج خطابات بديلة للخطاب الرسمي إلى إنتاج خطابات مضادة له، تفضح مغالطاته وأساليب التحكم التي يعتمدها وآليات الهيمنة التي يخفيها. ولا تصبح البلاغة حرة إلا عندما تقوض الخطاب الرسمي وتكسر هيمنته، إنه نوع منكسر القضبان المسيجة لها زمنا طويلا. أو لنقل إن الخطاب يصبح حرا حينما يكسر أسس الخطاب الرسمي، يقول مشيل فوكو، راسما وظائف الخطاب الرسمي: "أفترض أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع، هو في نفس الوقت إنتاج مراقب، ومنتقى، ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره والتحكم في حدوثه المحتمل وإخفاء ماديته الثقيلة"[11]. وتتحرر البلاغة عندما تلغي هذه الإجراءات الرقابية وتتجاوزها، ذلك أن "الثورة التي تمزق ستار الخوف المادي تمزق أيضا ستار الخوف اللغوي، فيصبح الأشخاص أميل إلى استخدام لغة غير مجازية مباشرة وواضحة وقاطعة"[12]. وهكذا، فقد "خلقت الميادين بلاغة جديدة لا تنافق ولا تراوغ، تسمي الأشياء بأسمائها، وتصف كل شخص بما يستحق، وتحطم إرث آلاف السنين من الصمت والمراوغة"[13]

تمتلك البلاغة الرسمية وسائل النفاذ إلى الخطاب، وموارد هامة للإنتاج من خبراء وسياسيين وخبرة تدبيرية طويلة تؤهلها لرسم الاستراتيجيات ووضع الخطط وتنفيذها، وهذا الإجراء ليس حكرا على الدول غير الديموقراطية، بل تعيشه الدول الديموقراطية أيضا، وهو ما يفسر ظهور مجال بحثي نذر نفسه لفضح آليات التحكم والهيمنة واللامساواة التي يعتمدها الخطاب لدى الغرب يتعلق الأمر بالتحليل النقدي للخطاب في أوروبا والبلاغة النقدية في الولايات المتحدة الأمريكية... لكن الأمر لدى الدول غير الديموقراطية أشد وطءا؛ إذ لا يتعلق الأمر بالهيمنة بالخطاب، بل بمنع خطاب الآخر وشجبه، وحرمانه من حق الوجود. تتحرر بلاغة الأضعف عندما يختل التوازن السياسي، وتختل موازن القوى، وننتقل إلى تعدد الأصوات. فما هي مظاهر تحرر البلاغة؟ وما تجليات نقض الخطاب الرسمي؟

11- مشيل فوكو، نظام الخطاب، تر محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 4

12- بلاغة الحرية، ص 54

13- م ن، ص ن

4-2-نقض هيمنة الأقوى سياسيا

تمكنت الجماهير الثائرة من فرض خطابها، ومن الدفع بالآخر إلى القبول به، وهو ما أفضى إلى حصول تحولتحول بموجبه الهامش مركزا، فنتج عن ذلك تغير في تصور خطاب الهامش، وفي هذا السياقأصبح ينظر إلى ما تنتجه الجماهير من خطابات ندا للخطاب الرسمي في بدايات الثورات، ثم ما فتئ هذا الخطاب أن احتل الصدارة على خشبة التواصل السياسي، بل إنه تحول إلى فعل كلامي كبير macro acte يدعو الجماهير الثائرة إلى الصمود ومواصلة النضال، ويحث السلطة على التنازل من عليائها لفائدة الجماهير الثائرة حين فرضتمطالبها وأنقذت شروطها السياسية[14]. وقد سمح ذلك بنقض خطاب الأقوى سياسيا، وكان من نتائج ذلك حصول انفجار خطابي أسفر عن إنتاج كم هائل من الخطابات في لحظة وجيزة، فضلا عن تنوع هذه الخطابات من حيث طبيعتها، بين الخطاب اللغوي والإيقوني والمسرحي ... وكأن الخطاب كان يعيش نوعا من الانحباس والاختناق، لكنه ما فتئ أن انطلق فجأة جارفا كل ما يجده أمامه.

وكان من نتائج هذا التحول أن "تبلورت قواعد جديدة لإنتاج الخطاب وتوزيعه واستهلاكه"[15]، فرضتها الجماهير الثائرة،فأحدثت زلزالا خطابيا هاما، قلب موازين القوى؛ فالخطابلا يصنعه الساسة فقط، بل تسهم في صناعته الجماهير أيضا، من خلال الاستناد إلى بلاغة راهنت على "تثوير الخطاب بموازاة مع تثوير المجتمع. وقد حققت ذلك عبر عمليات تفنيد ونقد مكثفة لخطاب السلطة القائمة"[16].

4-2-نقض أنواع الخطاب الرسمية

شهدت الثورات العربية إنتاج خطابات جديدة بديلة عن الخطابات الرسمية التي فرضت وجودها لمدة طويلة جدا من الزمن في الساحة السياسية العربية، إنها تلك الخطابات المنسجمة الوقورة، ممثلة أساسا في الخطبة السياسية المنظمة زمنيا المبنية وفق أجندة محسوبة واستراتيجية معلومة، تتضافر جهات متعددة في بنائها والتأسيس لها، والمشدودة إلى ذخيرة خطابية معلومة، والحاملة لإيديولوجية محددة هي إيديولوجية الدولة. وغالبا ما يكون الإنتاج فيها والإنجاز مختلفين من حيث المصدر. لكن الخطاب البديل أو ما يسميه عماد عبد اللطيف بالبلاغة الوليدة[17]، التي "تتضمن مجموعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها الثوار والأفكار والآراء التي يتبنونها ويدافعون عنها، والمصالح والأغراض التي

---

[14]- إن تبادل الأدوار بين المركز والهامش لم يعمر مدة طويلة، إذ ما فتئت موازن القوى أن ترجحت لفائدة الأقوى سياسيا عندما لملم صفوفه واستعاد قوته، بل إنه أصبح أقوى مما كان عليه من قبل.

[15]- بلاغة الحرية، ص 13

[16]- م ن، ص 26

[17]- هي ليست بلاغة وليدة في الواقع إنها بلاغة محاصرة ومخنوقة كانت تنتظر فرصة الانبثاق والانفجار، فلما سنحت الفرصة بذلك انفجرت.

يستهدفون تحقيقها، وشبكة التحالفات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يحاولون أن يؤسسوها، وصور الماضي الذي يثورون عليه، وملامح المستقبل الذي يبشرون به"[18]، فقد فرضت نفسها بقوة في سياق الربيع العربي، حيث جاءتاستجابة مؤجلة لزمن طويل من التسلط والعنف والهيمنة والتحكم،وبهذا يكون الخطاب الرسمي موضوعا للثورة وهدفا للتجاوز.

وفي هذا السياق فالبلاغة البديلة قد قطعت مع خطاب الماضي وقوضته، وأنتجت بدائل له من عدة نواح، منها:

- لم يحفل خطاب الثورة بالأنواع الخطابية الكلاسيكية، إلا قليلا؛
- شكلت مضامين خطاب الثورة فضحا للخطاب الرسمي، ورصدت ما يعتريه من تناقضات، وما ينطلي عليه من كذب (بلاغة الجمهور)؛
- تنوع الأشكال التي اتخذها خطاب الثورة، حيث تضمن أنماطا خطابية متنوعة ك"الكرافيتي، اللافتات واللقاءات التلفزيونية، والبرومو، والمناظرات الانتخابية، وتعليقات اليوتوب وغيرها"[19].
- اعتماد الخطاب الرسمي آليات فنية متعددة كالسخرية للتندر من القرارات السياسية الرسمية، فضلا عن المسرح والغناء...؛
- فاعلية الجماهير وبلاغتها من خلال إنتاجات استجابات خطابية مضادة للخطاب الرسمي،
- اعتماد وسائط يسهل الولوج إليها، فضلا عن كونها مجانية لا تتطلب دعما ماديا مهما كما هو الأمر بالنسبة إلى القنوات الرسمية كالتلفاز والجريدة...

2-5-نقض قنوات التصريف الرسمية للخطاب

إذا كانت البلاغة البائدة قد اتخذت القنوات التقليدية كالتلفاز والجريدة والمنشور...آلياتأساسية لتصريف خطاباتها وترويجها، فإنه في ظل حرية البلاغةقد طفت إلى السطح قنوات جديدة أضحت متاحة بفضل ظهور شبكة الأنترنيت والربط، سمحت "بتنوع الوسائط المستعملة في إنتاج خطاباته (الربيع العربي)، وتداولها وتوزيعها. فبالإضافة إلى الوسائط التقليدية [...] يشهد الربيع العربي تدشين الفضاءات الافتراضية بوصفها فضاءات تواصل سياسي تنتج فيها الاحتجاجات السياسية والأفعال السياسية أيضا"[20].

وهكذا فإن تحرر البلاغة قد سمح بالاستعاضة عن القنوات الرسمية بقنوات بديلة اعتبرت إلى وقت قريب هامشية؛ من خلال اعتماد منصات التواصل الاجتماعي لتأسيس الرأي المشترك وصنع القرارات وحشد الآراء وشحذ الهمم، فضلا عن اعتماد اللافتات ذات الخطاب المكثف والمباشر والواضح

18- البلاغة والحريّة، ص 26

19- بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب، ص 231

20- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية، مجلة كيرالا، المجلد 1، العدد 2، 2017، ص 230

الخط، زيادة علىتوجيه الخطاب للجماهير من خلال المنصات التي كانت تنصب في الميادين. إلا أن الفرق بين الخطابة الرسمية والخطابة البديلة من هذا الجانب الأخير، يتمثل في كون التفاعل في الثانية مباشر من خلال حضور الجمهور للميدان ومتابعته للخطابات، والتفاعل معها وإنتاج استجابات لحظية حقيقية، بينما المتلقي في الخطاب الرسمي كان مستحضرا في جل الخطابات من طرف الخطيب يتصور له هيئة ويقد له خصائص محددة، حتى في حالة الخطاب المباشر فالجمهور كان ينتقى بدقة كي ينتج استجابات تم التخطيط لها مسبقا. كما اعتمدت البلاغة الوليدة القوة الجماعية المستندة إلى الجماهير من خلال اعتماد الترداد الجماعي للخطاب، وهو إجراء دال بلاغيا، وفاعل تداوليا لأنه يعبر عن الرأي الجماعي، والفرد ضد المجموعة والرفض بالصوت العالي.

إن تحرر البلاغة وانتقالها من الخفاء إلى التجلي ومن استراتيجيات الإضمار والتلميح والمجاز والرمز إلى الوضوح والتصريح والإفصاح، قد حصل نتيجة استثمار الجماهير الثائرة للعوالم الخفية غير المرئية، في مقابل العوالم المرئية التي استندت إليها البلاغة الرسمية، وقد "وصل تأثير هذه الفضاءات إلى درجة اختزال الربيع العربي فيها، كما يتجلى في تعبيرات مثل (ثورات الفيسبوك)، و(الربيع الافتراضي)"[21].

ومن الخصائص الهامة لهذه الوسائط أنها مكنت من إنتاج استجابات واسعة النطاق اتسمت بالآنية وضعف الخضوع للرقابة وتعدد أنواع الاستجابات وقابلية تجهيل المصدر وقابليتها للحصر والقياس[22].

وفي هذا السياق، أجبرت بلاغة السلطة إلى التوسل بالوسائط التي وظفتها الثورة بالتجائها إلى ما يسميه عماد عبد اللطيف بترويض الوسيط، حينما اكتشفت أن قنواتها التقليدية قد فشلت في مجاراة خطاب الثورة.

2-6- بلاغة الشباب ونقض بلاغة الكبار

يخلص عماد عبد اللطيفبناء على استقراء تاريخ الثورات العربية إلى أنه "لم يشهد العالم العربي طوال تاريخه الحديث (والقديم أيضا) حركات احتجاج سياسية شعبية مماثلة في انتشارها وكثافتها واستمراريتها ومطالبها الجذرية لتلك الحركات التي أصبحت تعرف بالربيع العربي"[23]. وهذا ما أنتج صراعا مريرابين بلاغتين:بلاغة الكبار؛ والكبر هنا بمفهومه البيولوجي والسياسي وبلاغة الشباب الجديدة، بلاغة مشدودة إلى الماضي بخلفياته الإيديولوجية وحمولته الثقافية وإرثه السياسي، وبلاغة بديلة مشدودة إلى المستقبلبطموحه

---

21 - بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي، ص 230

22- بلاغة الحرية، ص ص 59- 60

23-بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي، ص 229

الجامحوحلمه ومثاليته، بلاغة تحررت للتو من إيسار بلاغة قاهرة متسلطة مهيمنة فرضت نفسها لفترة زمنية طويلة، بلاغة تسعى إلى الحفاظ على الوضع القائم بكل ما تملكه من إمكانات مادية ومعنوية وخطابية، وبلاغة تستشرف مستقبلا واعدا، أو لنقل بلاغة الجمود وبلاغة التغيير. والعلاقة بين البلاغتين يحكمهاالتدافعبمنطق خطاطة القوة. إنه نوع من الصراع بين "من لا يملكون إلا سلطة الخطاب والتشكيل الرمزي للحشود من جهة، ومن يملكون الصلاحيات السلطوية كاملة"[24]. والصراع في التصورات الاستبدادية محكوم بمنطق يقوم على كون "الحق في الكلام يعطى لمن يملكون صلاحيات الكلام، وحين يتكلم من لا يملك هذه الصلاحيات، فإن كلامه يصبح بلا قيمة"[25]، فيكون مصيره التهميش وسيل من التهم التي تخونه وتتهمه بزرع الفتن...

تنظر بلاغة الشباب إلى بلاغة الكبار العابسة والوقورة والجادة من منظورها الخاص، وتؤول مضامينها بطريقتها الخاصة، تجدب ثيابها وتتنف لحيتها وتسخر منها، إنه النفور من الأنظمة الاجتماعية الرسمية والشخصيات المنسجمة، والعالم المنظم ظاهريا، تصور لنا بلاغة الشباب العالم في صورته الحقيقية، من خلال كشف عوراته، وفضح عيوبه، فيظهر لنا من خلالها المثلث مربعا والمستطيل معينا، حتى ليصاب المرء بالدهشة، فيقول " العجاب ولا حاجة مكادة"[26]. تشكل بلاغة الشباب بلاغة من لا بلاغة له وبيت من لا بيت له، فهي صوت المقهورين والمهمشين والمنبوذين والمستعبدين... تسعى إلى خلق "خلق اتصال حر لا تشوبه أشكال عدم التكافؤ الاجتماعي أو القمع الخارجي أو القهر الداخلي وتعزز من قدرة الجمهور على إنتاج خطابات مقاومة وتحررية"[27].

2-6-نقض هيمنة الذكور، ثورات بنكهة حواء (المرأة أيقونة الثورة):

تصنع كل ثورة أيقونتها على مستوى الأشخاص، من خلال انبثاق ذلك الرمز الملهم للجماهير الثائرة الذي يمنحها الدافعية للاحتجاج والاستمرار في ذلك.و"للأيقونات وظائف جمة في تفعيل خطاب الثورة. فالأيقونة علامة محملة بطبقات كثيفة من الدلالات والإيحاءات والانفعالات، ويؤدي تداولها إلى استدعاء هذه الدلالات والإيحاءات والانفعالات لدى من يتلقونها وتوجيهها نحو أفعال ومواقف وخبرات جديدة"[28]. ولذلك، يعد صنعها أمرا هاما في الثورات ضمانا للانسجام بين الثوار ودفعا لكل أشكال الفتور التي قد تصيبهم؛

---

[24]- م ن، ص 236

[25]- م ن، ص 236

[26]- أقمنا تناظرا بين القصة القصيرة من منظور بوزفور في علاقتها بالأجناس الأخرى بالبلاغة الحرة في علاقتها بالبلاغة الرسمية.

[27]- بلاغة الحرية، ص 62

[28]- م ن، ص 34

لأن الثورات تتطلب نفسا طويلا وتضحيات جسام على المستويين المادي والمعنوي.

لقد كسرت الثورات العربية هيمنة الذكور في مسارح الاحتجاج، إذ شهدت مشاركة وازنة للمرأة، التي وقفت إلى جانب الرجل في الميادين من أجل المطالبة بتحقيق عيش أفضل، وضمان عدالة اجتماعية ينعم في ظلها الكل. إن خروج المرأة للاحتجاج لم يكن حكرا على ثورة بعينها، أو بلد بعينه، بل نجد لها حضورا فاعلا في كل الثورات التي عرفها العالم العربي، ولا عجب في ذلك، ما دامت هذه الثورة تعبر عن مطالب الفئات المهمشة، والمرأة في العالم العربي جزء هام جدامن هذه الفئات.

تشهد على هذا الحضور القوي الثورة اليمنية من خلال مشاركة حشود النساء اللائي تجمعن في الشوارع والساحات من أجل المطالبة بتغيير الوضع الراهن، ونشدان عيش أفضل، في تحد واضح لقوى الأمن، ومقاومة الأنظمة المتسلطة، وهو ما شكل مفاجأة للكل، حيث كان الاعتقاد السائد أن الثورة يقودها الرجال، وأن المرأة ستكون مشاركتها باهتة، مما نقض تلك الصورة النمطية عن النساء المتمثّلة في لزومهن الصمت ومكوثهن في بيوتهن.ومن النساء اللائي شكلن أيقونات في الثورة اليمنية نذكر الحقوقية "توكل كرمان" التي لقبت ب"أم الثورة"، والحائزة على جائزة نوبل للسلام، إذ كانت محركا أساسا للثورة اليمنية وملهما للنساء والرجال على حد سواء. وهكذا، شهدت كل الثورات نماذج نسائية قادت الثورات، وشكلت لسان الثوار، ومن ذلك،المدونة التونسية "لينا مهنا"، وأسماء محفوظ في مصر وغيرهن كثير، كلهن أسهمن في "صياغة وعي جمعي شامل"[29]، عمل على حفظ لحمة الثوار، وزاد من حماسهم في التشبث بالمطالب المشروعة للجماهير الثائرة.

ولعل أبرز الرموز التي صنعتها الثورات الأخيرة نذكر الشابة"آلاء صالح"، التي ألهبت حماس الجماهير الثائرة في السودان، حيث وصفت من طرف السودانيين بمجموعة من الألقاب منها، "تمثال الحرية" من خلال صورة أخذت لها وهي تعتلي سيارة في ثوبها الأبيض، مما جعلها رمزا للحرية والدفاع عن حقوق السودانيين التي أقبرها النظام، فضلا التشابه الحاصل بين الصورة الملتقطة وتمثال الحرية من خلال يدها الممتدة إلى أعلى.كما لقبت ب"كنداكة" وهي ملكة سودانية قديمة، في إشارة إلى تجدر دور المرأة الفاعل في المجتمع السوداني، إضافة إلى كون تشكل رمزا للقوة والكفاح.

لقد كان من مظاهر تحرر البلاغة صعود المرأة إلى خشبة التواصل السياسي من خلال مشاركتها الفاعلة في صنع الثورات العربية، بل إنها تحولت إلى أيقونة ألهمت الجماهير الثائرة وألهبت حماسها، لكون الأيقونة "تحظى بدرجة كبيرة من

---

[29]- بلاغة الحرية، ص 34

القبول الجماعي واسع الانتشار، وتشكل أرضية مشتركة بين شرائح واسعة من الجمهور"[30]. وهو ما كسر العقلية الرسمية المؤسسة على هيمنة صوت الرجل، والنظر إلى دور المرأة نظرة سلبية. لقد أصبحت البلاغة لسان الكل، حينما استدعت صوت المهمشين والمنبوذين والمغضوب عليهم، حيث استرد الكل الحق في الكلام.

2-7-تحرر البلاغة: من المواربة إلى التصريح

يلتجئ الأضعف سياسيا،نتيجة للحصار المضروب عليه ككيان وبالتالي على خطابه، إلى التوسل بمجموعة من الآليات الخطابية غير المباشرة، تسمح له بتمرير أفكاره ومواجهة سلطة الأقوى سياسيا دون أن يثير كلامه ذلك أية مشاكل قد يؤدي حريته أو حياته ثمنا لها. وفي هذا السياق اعتمد خطاب ما قبل الثورات جملة من الحيل اللغوية والتقنيات البلاغية تقوم على الاستعارة والكناية والرمز وتلطيف الخطاب... في مخاطبة السلطة وفي حديثه عنها وفي معرض مطالبته بحقوقه "نتيجة الخوف المزمن من القهر والبطش"[31]، وذلك فيمقابل خطاب السلطة الذي يقوم على التسلط بالخطاب وعنف اللغة وبطشها "وادعاء امتلاك اليقين التام والحقيقة المطلقة"[32]، فضلا عن اعتماد لغة تحقيرية تستهين بقدرات الجماهير الإدراكية من خلال استثمار جملة من آليات الإخفاء والهيمنة والكذب الخطابي.

إلا أن نسائم الثورات العربية قد غيرت الإنسان سيكولوجيا وعاطفيا قبل أن تغير سياقاته السياسية والاقتصادية، إذ مزقت ستار الخوف المادي، لتمزق معه ستار الخوف الخطابي، فأصبح "الأشخاص أميل إلى استخدام لغة غير مجازية مباشرة وواضحة وقاطعة"[33]، لغة لا توارب ولا تراوغ تسمي الأشياء بمسمياتها وتصف الواقع كما هو دون مواربة أو نفاق، محطمة أصنام الخوف وآلاف السنين من الصمت والمراوغة[34]، واللعب اللغوي.

لقد عملت الجماهير الثائرة على تعديل خطاباتها مرتقية في سلم المطالَب مع مرور الأيام، حيث انتقلت من المطالبة بتحقيق بعض المطالَب ذات البعد الاجتماعي والاقتصادي (المساواة – الحرية- العدالة الاجتماعية...)، إلى المطالبة برحيل النظام وزبانيته والإلحاح في ذلك (ارحل- ارحل...)، وهي مطالب لم يكن، ربما، أكثر المتفائلين يتوقعها قبل الثورة، ورأينا بالمقابل تحولا عكسيا في خطاب الأقوى سياسيا منتقلا من القوة والتهديد والاتهام والأمر والنهي إلى عرض الذات إيجابيا من خلال استحضار الإيتوس الاجتماعي والتاريخي

---

[30]- م ن، ص 34

[31]- م ن، ص 53

[32]- بلاغة الحرية، ص 24

[33]- م ن، ص 54

[34]- م ن، ص ن

لاستمالة عواطف الجماهير والدفع بها إلى العدول عن مطالبتها برحيل النظام في حالة مبارك، وإلى قبولها بالخطأ والاعتراف بغفلتها عن مطالب الشعب وحاجياته في حالة بنعلي (فهمتكم).

لقد استطاعت البلاغة البديلة فرض ذاتها من خلال إحداث تغير واضح على مستوى آلياتها الخطابية ولغتها، وطرق تصريفها للخطاب، وقد سمح بذلك الحرية التي أضحت تتمتع بها في سياق ما سمي بالربيع العربي. ولعل هذه الحرية هي التي أسهمت في التغيير الاجتماعي والسياسي الذي حصل إثر الثورة. لقد خلقت الثورة بلاغتها الخاصة حينما تحررت من إيسار البلاغة التقليدية التي تشكلت وسادت مدة طويلة جدا، فتمكنت من صنع حريتها الخاصة، وَلمَّا تأتَّى لها ذلك صنعت بلاغتها، بل إنها صنعت حريتها بواسطة بلاغتها.

تركيب

لقد صنعت الثورات العربية حريتها، من خلال تحرير البلاغة على عدة مستويات:

- على مستوى المتكلم:

– تم الانتقال من بلاغة الكبار إلى بلاغة الشباب؛ إذ أصبح للشباب كلمته المسموعة من خلال ما ينتجه من خطابات في سياق الثورات العربية؛

– الانتقال من هيمنة الذكورة إلى بروز دور المرأة التي شكلت في كثير من الثورات العربية أيقونة التفت حولها الجماهير الثائرة؛

- على مستوى الخطاب:

– تم الاحتفاء بالخطاب المهمشين والمقهورين على حساب الخطاب الرسمي؛

– تنويع أشكال الخطاب بالمقارنة بالأنواع الخطابية المنتجة قبل الثورات؛

– اعتماد آليات خطابية صريحة ومباشرة وواضحة الدلالة مقابل المواربة والمراوغة والتورية التي سادت من قبل.

- على مستوى قنوات تصريف الخطاب:

– الاستناد إلى قنوات بديلة لتمرير الرسالة تتميز بسرعة الولوج وإمكانية إنتاج استجابات لحظية سريعة مقابل القنوات الرسمية السائدة المعتمدة من لدن البلاغة البائدة.

لائحة المصادر والمراجع

-محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، ط 2، 2012،
- فان دايك، الخطاب والسلطة، تَر غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014،
- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، بيروت- القاهرة، 2013
- مشيل فوكو، نظام الخطاب، تَر محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص231
- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية، مجلة كيرالا، المجلد 1، العدد 2، 2017